الحرفاء عليها عظيما وربحها وفيرا . والنظام فى الحكومات ينجز أعمالها بسرعة وهكذا تجد كل عمل مهما صغر يحتاج إلى النظام

الوجدان — الضمير

(١) يشعر الانسان انهو أقدم على فعل من أفعال الشر بقوة تحذره من فعله وتزين له تركه ولكنه اذا فعله أحس بقوة نفسية تؤنبه على عمله وتوبخه على الاتيان به

(٢) كذلك يشعر من نفسه بان هناك قوة تستحثه على القيام بفعل الواجب وتغريه على عمله واذا أتم عمله أحس بارتياح وسرور

(٣) هذه القوة الناهية الآمرة هى مانسميه (بالوجدان أوبالضمير) وهى أسبق العمل بالارشاد أوالتحذير. وتقارنه بالتشجيع اذا كان صالحا او الكف اذا كان سيئا . وتلحقه بالارتياح وانبعاث السرور عند الطاعة أو بالشعور بالألم عند العصيان

(٤) اننا لنشعر بهذا الوجدان كأنه صوت منبعث من أعماق أفئدتنا يأمر وينهي ولو لم نرج ثوابا ولا عقابا فترى الفقير البائس يجد نقودا أو قطعة من ماس أو نحوها حين لايشعر به أحد ولايقع تحت يد القانون ومع كل هذا يتقدم طائعا مختارا الى رجال الحكومة ويؤدى اليهم ماوجد أو يعطيه لصاحبه . لاشك أن الذى ألجأه الى ذلك انما هو الوازع النفسى او الوجدان

نشوء الوجدان ـ الانسان ككثير من فصائل الحيوان التى تعيش جماعات وتخضع لحكم العرف والعادة ويشعر كل فرد منها بأن هناك أمورا يجب أن تفعل وأخرى يجب أن تترك ومن ذلك نشأ فى نفسه الميل الى عمل مايرضى المجتمع والنفور مما يخالفه حتى لترى علائم ذلك فى الطفل الصغير اذا ارتكب خطأ ويملأه الفرح اذا هو أدى الواجب

وهذا الشعور طبعى والتربية ترقية فهو فى حال السذاجة عند المتوحش وفى حالة راقية لدى المتمدين حتى لقد يدفعه ذلك الى بذل النفس دفاعا عن الوطن

والوجدان يختلف اختلافا عظيما لدى الامم فالكسل فى البلاد الباردة أشد مقتا منه فى البلاد الحارة وهكذا كل فضيلة من الفضائل كالعدل والشجاعة والصدق يختلف شعور الامم بما لها من المنزلة والمكانة بين افرادها

كذلك يختلف الوجدان باختلاف الازمان فنى غابر الازمان كانت تعامل المرأة معاملة غير ما تعامل بها الآن وما كان الوجدان ليرى فى ذلك نكرا . بل لقد يختلف فى الشخص الواحد باختلاف الزمن فبينما يرى الخير فى فعل شىء من الاشياء ومداركه ضيقة اذا هو تعلم واتسعت مداركه رأى فيه غير ذلك

ومن كل هذا نعلم أن الوجدان ليس بالهادى الذى لا يخطىء اذ هو تابع لاعتقادك فاذا كان خطأ كان الوجدان لا محالة كذلك . وأشد ما تكون أضراره حين الفتن والاضطرابات فان التهم فى ذلك الحين تكال جزافا ويحكم بأقصى العقوبات بالظنه وبما يمليه الوجدان

ومع ماله من أخطاء فلا بد من إطاعته ولو خالف رأى

من حولنا ووجدانهم فلا نجعل للخشية علينا سلطانا لاننا أمرنا بأن نعمل مانعتقد أنه حق لا بما هو الحق فى الواقع فالذي يطيع وجدانه دائما خير ولو تبين أنه خاطئ فيما بعد. وكلما اتسع الفكر وخصب العقل كان حكم الوجدان أسد

تربية الوجدان — الوجدان قوة من قوى النفس تنمو بالتربية ويضعفها الاهمال فاذا أمرك مرة بأمر فعصيته أحسست بندم عظيم واذا عاودت عصيانه طورا آخر شعرت بألم دون الاول ولا يزال هذا حالك معه حتى لا تشعر بشيء من التأنيب واللوم لان صولته تكون قد ضعفت ونفوذه قد تضاءل . ومما يزيده ضعفا على ضعف صحبة الاشرار وإدمان القراءة فى الكتب التى تحكى سير المجرمين وأرباب الموبقات كما أن الوجدان يرقى بالطاعة وبما يحث عليه كبار المصلحين فى الامم بما يشيدون به من عظائم الامور قولا أو كتابة

مراتب الوجدان ثلاث

(١) أن يعمل الواجب خوفا من الناس وهذا النوع موجود لدى البشر قاطبة حتى المتوحشين والاطفال والمجرمين

فكثير من الجند يقاتل فى ميدان الوغى خشية أن يوسم بعار الجبن والفرار . وأمثال هؤلاء يأتون المنكر اذا خلوا وأنفسهم وأمنوا رؤية الناس إياهم ولا يخجلون من فعله اذا وجدوا فى بيئة اشرار سفلة

(٢) أن يعمل ما تأمر به القوانين سواء أكانت وضعية أم خلقية فيؤدى العامل الامانة الى أهلها ولو لم تكن عليه شهود ويحافظ على الكلمة تصدر منه كما يحافظ على صك أمضاه . وهذا النوع أرقى من سابقه فهو لا يخدع أحدا وان أمن العقوبة ولا يكذب وإن نال من وراء ذلك منفعة لانه ملزم نفسه باتباع تلك القوانين سرا وجهرا وغالب الاخيار من ذلك النوع

(٣) أن يعمل مايرى أنه الحق سواء أخالف رأى الناس أم وافقهم . خالف القوانين المتعارفة أم وافقها . وتلك منزلة لا يصل اليها الا المصلحون وعظماء الرجال وقد يصل الحال بهم الى أن يهيموا بالحق وتهون عليهم أنفسهم وأموالهم فى سبيل نصرته وتأييده

أثر الوجدان فى أعمال الانسان ـ لاتكون الامة سعيدة حق السعادة الا اذا قام كل عامل باداء واجبه واتقانه بوازع الضمير الذى يتغلغل فى أعماق نفسه ويركز فى طبعه لا لرغبة فى مثوبة ولا للخوف من عقوبة . فيقوم رجال الامن بما يكلفون به من مراقبة حال الأمن في البلاد وإلقاء الرعب فى نفوس الأشرار ورجال الصحة بما يكفل تقليل الامراض والوفيات والمهندسون بانشاء الجسور واصلاح طرق الرى والمدرسون بثقافة النشء وهكذا حال كل صانع وعامل .

الشرم

إذا فعل الأنسان الشر بداءة ذى بدء وجد صوتا منبعثا من أعماق نفسه يؤنبه على ماحصل منه ويتجلّى له سوء فعله ويتوجع لذلك قلبه ويألم ألما يختلف شدة وضعفا باختلاف الوجدان والمثل الأعلى . وكلما رقى الشعور كان الندم أشد والحسرة أمض . ومن علائم ذلك طول الحزن وغزارة الدمع ورقة القلب وأن يجد مرارة للذنوب بدلا من حلاوتها

فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة منها نفرة فيكون كمن ينفر من عسل فيه السم : فاذا عدم الاحساس والشعور قل الندم بل قد يعدم تماما كما في معتادى الاجرام الذين يجترحون السيئات ولا يبالون بما يقترفون

التوبة

قد تصل الحال بمجترح السيئات أن ينقبض صدره وتضطرب أعصابه ويعزم عزما صادقا على الا يرجع الى ارتكاب مثل مافعل ويتوب توبة نصوحا على ألا يعود الى هذا الفعل مرة أخري . ومن لوازم ذلك إرجاع الحقوق المالية التى أخذت بغير حق الى ذويها كمن يأخذ مال غيره غصبا أو خيانة أو ينقص أجرة أجير الى نحو من هـذا . وطلب الصفح الى من أسأت اليه بغيبة أو نميمة أو سباب وشتم أو غير ذلك . فان فاته ذلك فليكثر من فعل الخير عسى أن يكون فى ذلك ما يكفر عنه آثامه